

من سلسلة
حكايات على ضفاف الخليج
النهاية
تأليف
محمد عبد العزيز أحمد الباكر
الطبعة العشرون يناير
2008 إهداء

إلى آخر قطعة من كبدي وقلبي،
إلى من يدبر عقلي بابتسامته.. وينفطر قلبي لبكائه
إلى آخر قطرة شهد من نعم الله وفضله
إلى ولدي عبد الله خليفتي من بعدي .

محمد عبد العزيز أحمد الباكر

المقدمة

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس: 24)
هل هي النهاية الوشيكة التي بدأت إرهاباتها في الظهور؟ وهل قارب العالم أيامه الأخيرة وكل النذر والإشارات توحى بذلك؟ هل أصبح العالم الذي نعيش فيه على شفير الهاوية وقاب قوسين أو أدنى من السقوط في هاوية لا يعلم قرارها إلا الخالق جل وعلا؟
أسئلة وتساؤلات واضحة الكلمات جلية المعاني تستنطق الأحداث التي تتوالى متسارعة بقياسات البشر الزمنية وعير بانوراما من المشاهد التاريخية تقشع غموضها كلمات الخالق سبحانه وتعالى وأحاديث النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة مضت جلية واضحة كضوء الشمس في رابعة النهار لا تحمل لبساً ولا غموضاً.

إن القرن العشرين بأحداثه المخفية وتطوراته العلمية والتكنولوجية الهائلة التي نقلت العالم بشكل مثير وحولته إلى ما يشبه قرية صغيرة ودمجت مجتمعاته بثقافاتها المتنوعة ومفاهيمها وعقائدها الروحية المختلفة بصورة أوضحت بجلاء لا يقبل اللبس أو الشك مدى الصراعات المحتدمة بين شعوبه ومدى قابليته للانفجار عبر تناطح المصالح وتصارعها وعبر تناقض الثقافات وتناظرها.
ولن تنسى ذاكرة التاريخ ما حفل به هذا القرن من أحداث جسام كانت شاهداً على الصراع المروع والتصادم القاتل والمدمر بين شعوبه على تنوعها الروحي والثقافي.

ومن ثم تكفلت التكنولوجيا والاختراعات الحديثة رغم جوانبها الإيجابية برسم صورة قاتمة لمستقبل الإنسانية من خلال جوانبها السلبية المتمثلة في أسلحة الدمار الشامل والتي تكفي لتدمير الكرة الأرضية عدة مرات إضافة إلى التأثيرات المخيفة بيئياً وإنسانياً من خلال التدمير الواسع والمستمر للموارد الطبيعية المتجددة وغير المتجددة..

الأمر الذي أدى إلى خلل خطير أصاب البيئة في مقتل وتنعكس آثاره يومياً على البشر..
كل هذا بجانب التغيرات السلبية الخطيرة التي أصابت القيم الإنسانية وانعكاساتها النفسية والصحية الخطيرة على ساكن هذا الكوكب الذي أصابته الهشاشة بفعل الإنسان نفسه.

ربما جهل معظم البشر النهاية الوشيكة لهذا العالم لأنه لا يشغل أحد نفسه بهذا الأمر في خضم الحياة وتعقيداتها التي لا تترك للإنسان ثغرة ينفذ منها ليلقي نظرة فاحصة ومتعمقة على مجمل الحياة عبر تاريخها الذي سجله هو منذ بدء الخلق والحكمة المتوخاة من هذه الحياة التي تندفع موجات الأجيال فيها لاحقة أجيالاً سبقتها إلى هاوية الموت الذي أصبح الحقيقة البشرية التي لا يختلف اثنان عليها فوق ظهر هذا الكوكب حيث خلق الإنسان ليموت.

ولكنه لم يتساءل ولم يحاول أن يبذل الجهد اليسير في فهم ماهية الموت وحكمته وفلسفته..
لم يدرك أن الموت هو الوجه الآخر للحياة ولم يواجه بحقيقة مهمة وهي أن قانون الموت ينطبق على كل الأشياء وكل المخلوقات الجامد منها والمتحرك فلا شيء يبقى على حاله.

فينظره سريعة وبسيطة جداً نجد كل شيء حولنا يموت والموت هنا هو النهاية التي تعقب البداية وإن اختلفت أشكال الموت فالأبنية تموت حين ينتهي عمرها الافتراضي فتهدم أو تسقط بفعل الزلازل أو عدم اتباع الأساليب الهندسية الصحيحة في بنائها، والسيارات الحديثة التي تثير الإعجاب ينتهي بها المطاف إلى محارق السيارات، والنبات يتطور من بذرة إلى نبات فثمر ثم يموت..

والحيوانات حتى التربة التي يهاجمها من التصحر أو يصيبها الضعف كل شيء تراه العين أو لا تراه يصيبه الوهن ثم ينتهي إلى قراره الأخير وهو الموت.. وإن تغيرت أشكاله.
إن ذلك يعني أن هذا الوعاء الضخم الذي يحتوي على كل شيء يموت، لابد له أن يموت أيضاً وينتهي إلى قراره الأخير. كل هذا وذاك يدفعنا إلى التفكير حول النهاية الوشيكة والتي أصبحت وشيكة جداً لهذا الكون الذي نعيشه.
لكن لماذا أصبحت النهاية وشيكة؟ وما هي علامات ودلالات اقترابها؟ وللإجابة عن هذا السؤال ننقل بكم ومعكم إلى آفاق الفكر الإنساني الذي اجتهد ورصد بعد تمعن وتمحيص في القرآن والإنجيل والعلوم الإنسانية ونبوءات بعض العلماء وظواهر الحياة وحركتها... كل ذلك عبر رحلة طويلة بدأت معها قصة النهاية.

محمد عبد العزيز أحمد الباكر
النهاية

كان الطقس رائغاً وكانت النسمات الندية تهب من جهة الخليج لتلثم وجه مدينة بدت كعروس ليلة زفافها. خاصمت بفرحتها النوم واستلقت بدلالها الأخاذ على رمال الصحراء لتصنع لوحة متناغمة هائلة الروعة في تلك الساعة المتأخرة من ليلة خميس، وتحديداً كانت الثانية عشرة في منتصف تلك الليلة وأنا في طريقي إلى مطار دبي متوجهاً إلى أقصى غرب إفريقيا في رحلة طويلة مضمّنة.
إن نفسي تموج بانفعالات شتى والسيارة التي تقلني تخترق شارع المكتوم في طريقها للمطار وانفعالات شتى تتنازعني حول هذا السفر الطويل إلى هذه البلاد التي سوف أزورها للمرة الأولى في رحلة عمل، ورغم أن هناك من ينتظرنني إلا أنني كنت أشعر رغم ذلك بانفعالات المسافر إلى المجهول.

والحقيقة فإن أبائنا وأجدادنا كانوا من الشجاعة والذكاء والقوة بحيث اقتحموا هذه القارة ببلادها وغاباتها الشاسعة لتجارتهم التي توجتها الدعوة إلى الإسلام حيث انتشر في ربوع إفريقيا.
وكان ذلك رغم المشقة الهائلة التي واجهوها بوسائلهم البدائية ومحدودية قدراتهم. دقائق بعدها كنت داخل المطار أنهى إجراءات السفر وبين قدح من القهوة والتجوال داخل السوق الحرة للمطار..

كانت الساعة الثانية على وشك الاقتراب حيث موعد الإقلاع، وخلال دقائق كنت في الطائرة الاثيوبية المتوجهة إلى الجابون عبر رحلة طويلة تزيد على الساعات السبع، ومبدئياً لم يكن أمامي سوى التخفف من حذائي وكتابين أزجي بهما هذا الوقت الطويل وربما اغفائة تعفيني من سوداوية التفكير الذي هاجمني حين شاهدت مقاعد الطائرة من الداخل وبعض الملاحظات التي تعطي انطباعاً مخيفاً لمسافر يقدمها ووجوب تجديدها.

لم يكن عدد الركاب يتجاوز ربع مقاعد الطائرة أو أقل من ذلك حين أقلعت بحفظ الله متوجهة إلى لبيرفيل، وبعد الطقوس الجوية المعتادة التي يؤديها طاقم مضيقي ومضيفات الطائرة ربما حوالي نصف الساعة بعد الإقلاع وهي طقوس تعليمات السلامة والأمان..
بدأ القبطان حديثه للركاب عبر ميكروفونات الطائرة الداخلية ترحيباً وشرحاً لخط سير الطائرة خلال رحلتها وأثناء حديثه حدثت هزة عنيفة للطائرة أجبرته على قطع حديثه معتذراً عن عدم استكمالها، ولم تكن في حاجة لتوضيح الأمر فقد كانت العواصف والرياح تتلاعب بالطائرة في الوقت الذي كان الرعب الحقيقي يحطم أعصاب الركاب فيما اصابني زلزال من الرعب لم أتغلب عليه سوى بقراءة القرآن والتمتمة المتواصلة بالدعاء والتضرع لله أن يكتب لنا النجاة..

لا أدري كم من الوقت مضى قبل أن تهدأ حركة الطائرة وتنقضي فترة الخطر التي مزقت أعصابي وجعلتني اغرق في وساوس مخيفة.. لا إنها ليست فقط وساوس مخيفة بل كانت لحظات الرعب بمثابة مدخل إلى التفكير العميق حول الموت والحياة بكل أبعادهما الروحية والنفسية والمادية..

لقد كان شيئاً لا يطاق لكنه بالقطع كان أمراً مهماً أن يفكر الإنسان في كينونته بداية ونهاية، وتجاوز الأمر البعد الفردي إلى مجمل الحياة والكون ولم يكن هناك من صمام أمان يهدئ من روعي سوى منطلق الإيمان العميق واللوذ الأمن بالقوي الأعظم والقادر المتعال خالق الكون ورب العرش العظيم تبارك اسمه وتعالى شأنه.

ربما تجاوز الوقت ساعة أو أكثر حتى استقرت الطائرة وعبرت منطقة الرياح بعد أن حركت كوامن النفس والتفكير حول أشياء كثيرة ومتعددة ربما لا تظهر أو لنقل لا تطفو على سطح أولويات الفكر الإنساني إلا نادراً ولا تثيرها إلا لحظات الاقتراب أو الخوف من النهاية الذي يشل حركة الإنسان ولا يمنحه من قوة سوى قوة الخوف والعرق البارد الذي يدفع بالقشعريرة إلى الجسد وأطرافه.

والحقيقة كان هناك هاجس خطير يعتمل في نفسي بعد أن اكتملت أمام ناظري بانوراما واضحة المعالم ورؤية نفسية وعقلية وفكرية شبه كاملة دفعت بي إلى قناعة لا تقبل جدلاً حول النهاية الوشيكة لهذا العالم الذي نعيشه وهذا الكون الذي عبثنا به طويلاً دونما حكمة ودونما إدراك للطبيعة العظيمة وميكانيزم حركة الكون الذي نُعتبر نحن جزءاً أصيلاً منه، وبتعبير أصدق وأدق..

هذا الكون الذي جعلنا خالقه وهو الخالق الأعظم والمبدع المنفرد بالوحدانية في ألوهيته وربوبيته جزءاً أصيلاً منه.

والحقيقة أيضاً حتى أكون منصفاً في هذا العرض ربما لم يكن اضطراب الطائرة هو السبب الحقيقي لهذا الخوف المتوحش الذي نهش جوانحي، بل ربما كانت الحقائق المثيرة والخطيرة التي تجمعت في مخيلتي مصادفة بعد أن اكتملت الحقائق كقطع الفسيفساء التي تجمعت

لتعطي شكلاً واضحاً أو لنقل إنه كانت هناك صورة ممزقة لشكل ما أخذت قصاصاتها الورقية الممزقة تلتئم وتتجمع داخل عقلي حتى اكتملت وأعطت هذه الصورة المخيفة لسيناريو النهاية الوشيك الحدوث.

بالطبع لم يحدث الأمر بين يوم وليلة فقد ختم عصر النبوات بالخاتم وبأشرف البشر عليه الصلاة والسلام ثم إنه لم تعد هناك معجزات في زمن أصبح التفكير فيها أو تمنيتها انعكاساً للحالة التي وصل إليها إنسان هذا العصر من العجز في مقاومة شروره هو، والتي أصبحت طوفانا جارفاً لا يجد البعض من بد - في غياب الإيمان - سوى ركوب أمواجه و امتطاء لجته ياساً ورهياً.

لكن كان الإطلاع والتنقيب العلمي والبحثي والقراءات المتعددة المتنوعة في طروحاتها وبالصدفة المحضه هي التي أدت إلى اكتمال القطع الممزقة في تلك الصورة الوحشية المخيفة للاقتراب المتسارع نحو هاوية النهاية، وللأمانة أيضاً فقد سبقني كثيرون لا أعلم عنهم سوى من قرأت لهم والذين سوف اشير اليهم بامتنان في خاتمة هذا الكتاب وحاشيته.

لم يكن أمامي لقتل الوقت الذي يمر بطيئاً داخل الطائرة سوى القراءة فهي الشيء الوحيد والحاسم الذي يدفع إلى داخلي بالإحساس والشعور بالحياة وبأنني بشر يستحق تكريم الخالق، كما أن القراءة هي الشهوة الوحيدة المتجددة التي أمارسها برغبة كاملة اللذة والنشوة والتي تدفع أيضاً بباقي الرغبات البشرية إلى الصف الخلفي أو الدرجة الثانية داخل نفسي وكعادتني لا أنسى أن أضع ضمن حاجياتي الشخصية التي أضعها في حقيبتي كتاباً أو كتابين مختارين..

هذا طبعاً بالإضافة إلى أحسن الحديث الذي أنزله الله تبارك وتعالى كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم. وهو المصحف الشريف الذي يلازمي دائماً، وأسأل الله تعالى أن يكون دائماً كذلك.

تحررت من حزام مقعدي ونهضت متثاقلاً في شعور بعدم التوازن..

مددت يدي إلى خزنة السقف وفتحت حقيبتي والتقطت منها أحد الكتابين دون اختيار وكان ما أردته .

لقد كان أحد الكتب التي كنت أتوق بشدة لقراءتها وحصلت عليه أخيراً..

كان كتاب (نهاية التاريخ وخاتم البشر) للكاتب الأمريكي فرانسيس فوكوياما، وللحقيقة كان كتاباً يستحق القراءة للنتاج الفكري الإنساني الذي يتضمنه إضافة للرصد البشري والاجتهاد المشكور لصاحبه ومؤلفه حول مستقبل البشرية ووصولها إلى قمة النظم السياسية والاقتصادية التي تتفق مع النزعات البشرية الفطرية ومحاولة تخيل ما الذي يتضمنه المستقبل في ظل طبيعة التغير والصراع التي تحكم نظرة الخلق ليصل فوكو ياما باجتهاده العقلي والفكري إلى نتيجة مأساوية سوف تؤدي بالإنسان في نهاية الأمر إلى الدمار الشامل وبالتالي نهاية التاريخ. مرت ربما ساعتان أو أكثر وأنا أعيش مع فوكوياما في طروحاته الفكرية حول المذاهب الفلسفية لهيجل ونييتشه وافكارهما حول الإنسان وخبائيه السيكلوجية التي تتحكم في صراعاته وحركاته وطموحاته.

كان أمراً رائعاً أن أعلم أن نظرية هيجل النفسية في التاريخ تقوم على أساس الصراع من أجل نيل التقدير والاحترام..

حيث كان يرى (هيجل) أن الكائن البشري شأنه شأن الحيوانات من حيث احتياجات الطبيعة وتطلعاته إلى الأشياء الخارجية كالطعام والشراب والمأوى وفوق كل شيء إلى حماية جسمه ونفسه، إلا أن هناك اختلافاً أساسياً عن الحيوان من خلال تطلعاته الإنسانية ورغبته في شئين مهمين: نيل الاعتراف والتقدير..

أي أنه يريد من الآخرين أن يعترفوا به كائناً بشرياً له قدره وكرامته وفي هذا فإنه على استعداد للمخاطرة بحياته في صراع من أجل المنزلة المجردة، وبذلك فإن الإنسان هو وحده الذي يتجاوز أكثر غرائزه الأساسية حيوانية ويتغلب عليها وهي غريزة حب البقاء في سبيل مبادئ وأهداف أرقى وأكثر تجريباً ومن أجلها.

ويذهب هيجل - للتدليل على ذلك - إلى أن الرغبة في نيل الاعتراف هي التي كانت تدفع أي متصارعين بدائيين في قديم الزمان إلى المخاطرة بحياتهما بالدخول في عراك حتى الموت؛ حيث إن كلاً منهما يسعى إلى نيل اعتراف الآخر بأدبيته فإذا أودى الخوف الطبيعي من الموت بأحد المتصارعين إلى الإذعان والخضوع فإنه تنشأ بناء على ذلك علاقة السيد بالعبد..

أي أن المخاطرة في هذه المعركة الدموية منذ فجر التاريخ لم تكن من أجل الطعام والمأوى أو الإحساس بالأمن، بل هي مخاطرة من أجل المنزلة المحضة..

وباعتبار أن الهدف من المعركة لا تحديه اعتبارات بيولوجية، فإن هيجل يرى فيها أولى بوادر الحرية الإنسانية.

ويستعرض فوكو ياما مستطرداً بأن الرغبة في نيل الاعتراف والتقدير فكرة قديمة قدم تاريخ الفلسفة الغربية السياسية وتشكل جانباً مألوفاً تماماً من الشخصية الإنسانية، وقد جاء أول وصف لها في جمهورية أفلاطون حيث أشار إلى أن للروح ثلاث قوى هي (الشهوة والعقل وما اسماه الثيموس Thymos وهي الهمة والشجاعة أو القوة الغضبية) ويمكن تفسير الكثير من مظاهر السلوك الإنساني أو البشري بأنه امتزاج بين القوتين الأولى الشهوة والثانية العقل، حيث تدفع الشهوة الناس إلى السعي من أجل الحصول على أشياء هي في حاجة إليها في حين يبين لهم العقل أو ما يسمى بالتقدير الواعي أفضل السبل للحصول على هذه الأشياء.

غير أن هناك أيضاً سعي من جانب البشر إلى نيل الاعتراف بقدرهم أو الاعتراف بقدر الأشخاص أو الأشياء أو المبادئ التي يرون لها قدراً كبيراً. وهذا الميل إلى إضفاء قيمة معينة على الذات وإلى مطالبة الغير بالاعتراف بهذه القيمة هو ما يسمى اليوم (بعزة النفس) والذي ينشأ عن ذلك الجانب من الروح المسمى بالثيموس وهو أشبه بحس إنساني فطري بالعدالة..

حيث يعتقد الإنسان أن له قدراً معيناً فإن عامله الآخرون على أنه أقل قدراً مما يظن غلبت عليه عاطفة الغضب.

كذلك فإنه إن فشل البعض في أن يحيوا حياة تتفق مع احساسهم بقدرهم غلب عليهم الإحساس بالخجل وإن هم لقوا من الغير تقييماً صحيحاً يتناسب مع قدرهم أحسوا بالفخر، وهنا يتضح جانب من جوانب الشخصية الإنسانية بالغ الأهمية في مجال الحياة السياسية.. وهذا الأمر يمثل عند هيجل المحرك لعملية التاريخ بأسرها.

ويشرح هيجل كيف أن رغبة الإنسان في نيل التقدير والاعتراف به ككائن بشري له كرامته قد زجته في فجر التاريخ في معركة دموية مصيرية من أجل المنزل، وكانت نتيجة هذه المعركة هي تقسيم المجتمع الإنساني إلى طبقة من السادة على استعداد للمخاطرة بحياتهم وطبقة من العبيد استسلموا لمشاعر الخوف الطبيعي من الموت..

غير أن العلاقة بين السادة والعبيد فشلت في نهاية الأمر في إشباع الرغبة في نيل الاعتراف والتقدير لدى السادة والعبيد على حد سواء فالعبد بطبيعة الحال لم يكن معترفاً به بأي شكل من الأشكال كائناً بشرياً..

غير أن الاعتراف الذي كان يحظى به السيد كان ناقصاً أيضاً إذ لم يكن يعترف به السادة الآخرون، وإنما فقط العبيد الذين لم تكن إنسانيتهم قد اكتملت بعد..

وكان أن أصبح هذا الشعور بعدم الرضا بالاعتراف المعيب القائم في المجتمعات الأرستقراطية يمثل حالة التناقض التي تولدت عنها مراحل جديدة من التاريخ.

وحسب رأي هيجل فإن التناقض المتأصل في العلاقة بين السادة والعبيد أمكن التغلب عليه في نهاية المطاف نتيجة الثورتين الفرنسية والأمريكية اللتين ألغتا التمييز بين السيد والعبد بأن جعلتا عبيد الماضي سادة انفسهم ورسختا مبادئ السيادة الشعبية وسيادة القانون وحل محل الاعتراف غير المتكافئ أصلاً في العلاقة بين السادة والعبيد اعتراف شامل متبادل بحيث أضحي كل مواطن على استعداد للاعتراف بكرامة وإنسانية كل مواطن آخر وأضحت الدولة بدورها تعترف بهذه الكرامة من خلال كفالة الحقوق.

وهذا الفهم من جانب هيجل لمعنى الديمقراطية الليبرالية (وهو موضوع وعنصر أساسي في هذا الكتاب ضمن رؤية سياسية واقتصادية شاملة لحقبة النهاية) يختلف على نحو مهم عن الفهم الأنجلو سكسوني الذي كان يشكل الأساس النظري لليبرالية في أقطار مثل بريطانيا والولايات المتحدة.

ففي تراث الانجلوسكسون يحتل السعي لنيل الاعتراف والتقدير مرتبة أدنى من الصالح الشخصي المستتير - أي الرغبة المقترنة بالعقل - وبالأخص تلك الرغبة في الحفاظ على الجسد وحمايته. وفي حين كان هوبز ولوك والآباء المؤسسون الأمريكيون من أمثال جفرسون وماديسون يعتقدون أن الحقوق هي إلى حد بعيد وسيلة لحماية مجال خاص يستطيع الناس فيه أن يحققوا الثراء لأنفسهم وأن يشبعوا قوى الشهوة في أرواحهم..

كان هيجل يرى في الحقوق غايات في حد ذاتها؛ حيث إن ما يرضى البشر حقاً ليس الرخاء المادي بقدر ما يرضيهم الاعتراف بوضعهم وكرامتهم.

وقد أكد هيجل أن التاريخ وصل إلى نهايته بقيام الثورتين الأمريكية والفرنسية بالنظر إلى ان هذا النضال من أجل الاعتراف الذي كان يحرك عملية التحول التاريخي قد حقق مراده في مجتمع يتميز بالاعتراف المتبادل والشامل، ونظراً لأنه ليس هناك ترتيب آخر للمؤسسات الاجتماعية الإنسانية يمكنه أن يشبع هذه الحاجة على نحو أفضل فليس بالإمكان حدوث المزيد من التحولات التاريخية بعد الآن. إن فوكوياما وهو يستعرض مذهب هيجل في تفسير علاقة النزعات الفطرية الإنسانية بالتحولات التاريخية وينطلق منها لإعادة تفسير الكثير من الظواهر المألوفة كالثقافة والدين والعمل والقومية والحرب.

وفي غمرة تفسيراته لنظرية هيجل حول نيل الاعتراف والتقدير والسادة والعبيد نسي أو تجاهل - وربما جهل - أن هناك ومنذ أربعة عشر قرناً ونيف من أرسى هذه الأسس العظيمة وسبق هيجل وثورتيه الفرنسية والأمريكية بأكثر من عشرة قرون وهو رسالة الإسلام وشريعته السمحاء التي جاء بها سيد المرسلين وخاتم البشر اجمعين محمد عليه الصلاة والسلام.

تلك الرسالة الغراء التي ألغت كل فروقات التمايز بين البشر ووضعت الأسس العظيمة للمساواة والحرية والإخاء، كما أوضحت وبجلاء لا يقبل الجدل بأنها النهاية {أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْتَقَ الْقَمَرُ} (القمر: 1) {فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} (محمد: 18) والأحاديث الشريفة التي سنحاول إيضاحها في مواضعها في هذا الكتاب.

وأعود مرة أخرى إلى فلسفة وجوهر التحولات التاريخية التي يفترض فوكوياما أنها وصلت إلى النهاية بالوصول إلى الصيغة الديمقراطية الليبرالية التي تتيح إشباع رغبة الكائن البشري في نيل الاعتراف والتقدير على أساس أن الديمقراطية الليبرالية ساوت بين البشر وأعطتهم جميعاً الحق في نيل شرف الاعتراف والكرامة البشرية..

إلا أنه يتساءل قائلاً: هل الاعتراف المتوافر لمواطني الديمقراطيات الليبرالية المعاصرة مرضٍ تماماً؟

أي هل يكفي ذلك الأمر لهؤلاء الناس؟

يعود فوكوياما ويناقش رأيين لليسار واليمين ومسترشداً بآراء الفيلسوف نيتشه حول ذلك. فيقول: إن اليسار يذهب إلى أن الاعتراف والتقدير العام في الديمقراطية الليبرالية هو اعتراف ناقص حيث إن الرأسمالية تتسبب في خلق عدم مساواة اقتصادية وتتطلب تقسيماً في العمل يعني - بالضرورة - اعترافاً غير متكافئ، وعلى ذلك فإن مستوى الرخاء المطلق في أمة لا يوفر حلاً حيث إنه سيظل فيها فقراء نسبياً ومن ثم لا ينظر إليهم إخوانهم من المواطنين باعتبارهم بشراً.

ويعنى آخر، أن تقدير الديمقراطية الليبرالية لأناس متساوين سيظل تقديراً غير متساوٍ...

هذا هو رأي اليسار. أما اليمين ويمثله نيته الذي كان يعتقد أن الديمقراطية الحديثة لا تمثل مرحلة يصبح فيها عبء الماضي سادة أنفسهم فحسب بل تمثل انتصاراً كاملاً للعبء ولأخلاقيات العبيد. حيث المواطن النموذجي في الديمقراطيات الليبرالية هو خاتم البشر الذي ربه مؤسس الليبرالية الحديثة على أن يتخلى عن اعتزازه وإيمانه بتفوقه في مقابل البقاء والراحة..

لقد انجبت الديمقراطية الليبرالية أناساً لا صدور لهم يجمعون بين الرغبة والعقل ويفتقرون إلى الثيموس. مهرة في اكتشاف وسائل جديدة لإشباع حشد من الرغبات الحقيرة عن طريق مراعاة الصالح الشخصي بعيد المدى، ولن تكون لدى خاتم البشر - إنسان الديمقراطيات الليبرالية - أية رغبة في أن يعترف به باعتباره أعظم من الآخرين، وعلى ذلك فإنه في ظل انعدام هذه الرغبة لا يمكن بلوغ أي تميز أو انجاز خارق..

إنه قانع بسعادته غير قادر على الإحساس بالخجل من عجزه عن الارتقاء فوق مستوى احتياجاته وبالتالي فإن خاتم البشر لم يعد بشراً. ثم يقول فوكوياما: أنه إذا سرنا على نهج نيته فلا بد من التساؤلات الآتية:

أليس الإنسان القانع تماماً بمجرد الاعتراف العام والمساواة دون سواهما إنما هو كائن أقل قدراً من الإنسان الكامل وجدير بالاحترام وخاتم بشر عاطل عن الاجتهاد والطموح؟ أليس ثمة جانب للشخصية الإنسانية يسعى عامداً للصراع والخطر والمخاطرة والإقدام؟.

وهل سيظل هذا الجانب دون إشباع في ظل السلام والرخاء في الديمقراطيات الليبرالية المعاصرة؟ ألا يتوقف رضا بعض البشر على اعتراف وتقدير هو في جوهره اعتراف وتقدير رافض للمساواة؟.

ثم ألا تشكل الرغبة في الاعتراف والتقدير غير المتكافئ أساس الحياة المرغوب فيها، ليس فقط في المجتمعات الارستقراطية القديمة وإنما أيضاً في الديمقراطيات الليبرالية الحديثة؟ أن يتوقف بقاؤها في المستقبل إلى حد ما على الدرجة التي يسعى بها مواطنوها إلى الاعتراف بهم لا على أنهم أنداد لغيرهم وإنما باعتبارهم متفوقين على غيرهم؟.

ثم ألن يؤدي خوف الناس من أن يصيروا خاتم بشر حقراء إلى محاولة منهم لإثبات تفوقهم بوسائل جديدة غير متوقعة ولدرجة أن يصبحوا مرة أخرى (أول البشر) البدائيين المتوحشين الغارقين في معارك دموية من أجل المنزلة ومستخدمين هذه المرة أسلحة حديثة؟ تساؤلات مهمة تخدم الموضوع الذي ناقشه في كتابنا هذا بشكل رئيسي في سياق رصد المسار العام للإنسانية الذي يسير بثبات مقدر نحو نهايته.

لكن دعونا قبل أن نتجاوز هذه الطروحات نتعرض لنقطة مهمة تخدم السياق نفسه وهي كما طرحها فوكوياما حول نظرة أعمق في طبيعة السياسات الدولية من منطلق الحصول على الاعتراف والتقدير، حيث إن الرغبة في الاعتراف والتقدير التي أدت إلى المعركة الدمية الأصلية من أجل المنزلة بين شخصين متحاربين تؤدي منطقياً إلى الامبريالية والإمبراطورية العالمية..

إن العلاقة بين السادة والعبيد على المستوى المحلي لا بد لها أن تتكرر على مستوى الدول حيث تسعى الأمم بوجه عام إلى نيل الاعتراف والتقدير والمكانة وتخرط في معارك دموية لفرض السيطرة، وقد ظلت القومية - وهي شكل حديث من أشكال الاعتراف ليس كامل العقلانية طوال المائة سنة الأخيرة - أداة للصراع من أجل الاعتراف ومصدراً لأعنف الصراعات التي شهدتها هذا القرن، وقد عبر عنه أصدق تعبير مهندس السياسة الأمريكية المعروف هنري كيسنجر حين أسماه (عالم سياسة القوة) من هذا المنطلق العام لمفهوم الصراع السياسي الدولي وفي ظل عالم تحول إلى قرية صغيرة بفعل التقدم التكنولوجي الخطير وثررة الاتصالات والقدرة النووية الهائلة والتهديد المنطقي المتزايد بحتمية الصدام العسكري الذي سوف يعيد الإنسان إلى درجة الصفر الحضاري حسب مفهوم الثيموس وسياسة القوة التي بدأت تصرخ بجلاء ووضوح: أنا هنا.

هذا الصراع الذي أدى إلى تهيمش وإلغاء دور المنظمات الدولية ومؤسسات القانون الدولي وعلى رأسها الأمم المتحدة والاندفاع صوب سياسة الصراع الدمي من أجل المنزلة.. فإننا يجب أن نبدأ العد التنازلي بثقة وواقعية دونما جنوح للخيال نحو النهاية.. لكن دعوني استعرض هذه المقولة لإميل فاكنهايم في اطروحاته (الله في التاريخ $History in Presence < God$) التي تعطي عميق المغزى لهذه الأطروحة حول النهاية.

(كان بوسع إيمانويل كانط على رصانته ورجوح عقله أن يذهب جاداً إلى أن الحرب تخدم الأغراض الإلهية.. أما بعد هيروشيما فقد بات الناس ينظرون إلى الحروب كافة باعتبارها -في أفضل الحالات - شرّاً لا بد منه، وقد كان بوسع عالم اللاهوت القديس توما الأكويني - على ورعه وقداسته - أن يؤكد جاداً أن الطاعة يخدمون الأغراض الإلهية.. إذ بدونهم تنتفي فرص الاستشهاد. أما بعد أوشفيتز (معسكر إبادة اليهود فإن أي إنسان يذكر هذه الحجة يتهم بالكفر

.. فبعد تلك الأحداث، الرهيبة التي وقعت في قلب العالم التكنولوجي المستنير الحديث هل لا يزال بالوسع أن نؤمن بإله يمثل النقم الضروري أكثر مما نؤمن بإله تتجلى قدرته في صورة عناية الهية ترقب مسيرة الكون؟!.

القرن العشرون ينهي العالم تاريخه الميلادي بالعام الأخير من القرن العشرين بحصيلتين تاريخيتين لا شك فيهما وهما فالحصيلة الأولى حصيلة الدماء أو الجانب الدموي الرهيب من هذه النهاية بدءاً بالحرب العالمية الأولى التي حصدت ملايين الأرواح ودمرت الأخضر واليابس ثم الحرب العالمية الثانية التي يعجز القلم عن وصف كم الدمار والخراب الذي لحق بالعالم وأرواح الخمسين مليوناً التي أزهقت والتي استخدمت في نهايتها السلاح النووي البدائي فمحا مدناً من الوجود وأباد مئات الآلاف خلال دقائق معددة.

كل هذا إضافة لعشرات الحروب التقليدية التي عمت العالم شرقه وغربه - جنوبه وشماله من صراعات دموية مدمرة شقيبت بها الإنسانية، والغريب أن كل هذه الحروب و الصراعات الدامية التي حدثت - ولا تزال تحدث أو تستعد وتتأهل للحدوث الآن- إنما حدثت في قرن التقدم الصناعي والرخاء و أطروحات السلام البائسة التي تنأى بمثالياتها عن حقائق الواقع ومعطياته اللاهية للصراع الإنسان المستديم الذي يعتبر إحدى سنن الكون وفرصياته الحقيقية والحتمية.

أما الحصيلة الثانية حصيلة الرخاء والتقدم الحضاري التكنولوجي والفكري والسياسي، فلا أحد ينكر دور العلم وما حققه من تقدم هائل في شتى الميادين الحياتية للإنسان والذي انعكس بالتالي على حياة الإنسان وسلوكياته رخاءً وراحةً ورفاهيةً.

إلا أنه يبقى في هذا الإطار أن نوضح شيئاً مهماً - بل هو في غاية الأهمية بناء على ما سبق - وهو أنه إذا كانت الدوافع الإنسانية التي طرحها هيجل و نيتشه دوافع فطرية وأصلية مضى بها الإنسان في مسيرته إلى ان وصل إلى هذا النمط السياسي العالمي وهي الديمقراطية الليبرالية التي تعتبر الخاتمة في نهاية مطاف تاريخي طويل ومتصل وهو الجانب الخطير والأصيل في الشخصية الإنسانية الذي يسعى بفطرته إلى الصراع والخطر والمخاطرة والإقدام..

فيجدد بنا أن نتساءل ونحن في ظل تطورات دراماتيكية مواتية تطل برأسها بوضوح وتخيم بشرها على البشرية..

الا يجدر بنا أن نتساءل بثقة: أليست النهاية قريبة؟ إن هذا التساؤل مبني فقط على أطروحات فكرية اجتهد بها البشر من خلال الرصد والبحث والمتابعة، والبشر بتفكيرهم وفكرهم المحدود والقاصر يظلون عرضة للنقد قبولاً ورفضاً إلا أن هناك من الأحداث والوقائع والثوابت ما يظل أجلى وأوضح نستبين من خلالها النهاية القابعة خلف حافات الأفق القريب.

لقد استند فوكوياما في أطروحته حول النهاية وخاتم البشر الذي قصد بهما وصول الإنسان إلى نظام سياسي واقتصادي مثالي يرضي دوافعه النفسية للصراع وهي الديمقراطية الليبرالية والتي نُقضت أيضاً من خلال رأي اليسار ورأي اليمين ممثلاً في الفيلسوف فريدريك نيتشه والتي نراها نحن عياناً بياناً قد تحولت إلى مرحلة ترجمها هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة ومستشارها للأمن القومي خلال حقبة السبعينيات بصدق حين أعطاها شعار عالم (سياسة القوة). لننظر حولنا بقليل من التمعن لنر الحقائق التالية:

أولاً: عالم مكسب بشتى أنواع الأسلحة التقليدية إضافة إلى الأسلحة الكيماوية والبيولوجية.

ثانياً: مجموعة من الدول متنافرة الثقافات والأعراق متصاربة المصالح والديانات والمذاهب تمتلك من الأسلحة النووية والهيدروجينية ما يكفي لإبادة وتدمير الكرة الأرضية بما عليها ومن عليها عدة مرات.

ثالثاً: الخلافات السياسية وصراع المصالح المحتم بين معظم دول وشعوب العالم شرقه وغربه.

رابعاً: بدء تنفيذ عالم (سياسة القوة) والعولمة بمعناها الأشمل.

خامساً: التدمير المنتظم والنهب الواسع لموارد البيئة والطبيعة المتجددة وغير المتجددة والخلل البيئي الذي بدأ حدوثه ولا يدرك أبعاده المخيفة سوى العلماء والمتخصصين وانعكاسات هذا الأمر على الطبيعة ومن ثم على البشر وبالتالي تأجيج الصراع والإسراع بحدوثه. إلا أننا تناسينا أو تناسى علماء الغرب ومفكروه ونخبه السياسية أن هناك مشروعاً حضارياً إنسانياً وناموس حياة حقيقية يختصر الصراع في درجاته الدنيا لم يترك شاردة ولا وارده إلا وتعرض لها في حياة البشر بإعجاز عظيم لا يدركه بشر وليس من صنع بشر وهو الإسلام بشريته وهديه..

الذي نظم وقرن علاقات البشر بالبشر وعلاقات البشر بالطبيعة ومواردها، ونظم في هدى عظيم الصراع البشري بشكل يضمن السعادة والطمأنينة لبني البشر على اختلاف مشاربهم وأجناسهم وأعراقهم..

بدءاً من تكريم الإنسان ونيله الاعتراف والتقدير والمنزلة (ولقد كرّمنا بني آدم) ووضع منذ أربعة عشر قرناً ونيف حقوق الإنسان وكرامته في أرقى منزلة وحفظ ماله وعرضه ودمه وألغى عبادة البشر للبشر ونظرياتهم المعيبة الناقصة وجعلها لا إله إلا الله واحد أحد.. عبودية تأخذ ولا تعطي سوى العبادة والالتزام.. عبودية ارتقت إلى سيادة لا يحلم بها السادة في العصور الارستقراطية التي مرت في تاريخ البشرية. إن الإسلام ليس ديناً بالمعنى الذي يفهمه الغربيون... ليس مجموعة من الخرافات والخزعلات التي ألفها رهبانهم وبابواتهم وعاثوا بها فساداً في أوربا خلال قرون القهر والتسلط فذبخوا الناس وقمعوا الفكر وقتلوا المفكرين والعلماء وتسلطوا على شعوب أوروبا بصكوك مزيفة للغفران.

بل الإسلام مشروع حضاري متكامل جاءت رسالته هدى ورحمة للناس كافة ولكنهم لم يفهموا وربما نحن لم نحسن التبليغ والدعوة ولكنها فوق هذا وذلك كما نفهم نحن ارادة الله وحكمته في أن يكون الأمر هكذا.. لأنه لا بد أن يكون هكذا لأنها النهاية. ولا بد للنهاية من سيناريو أحداث لا يصنعها سوى الصانع الأعظم.

ويدور السؤال الكبير والمخيف: هل نعلم نحن شيئاً عن هذا السيناريو؟ وكيف سيحدث ذلك؟ وهنا نتدخل نحن منطلقين من رؤية اسلامية شاملة تأخذ في حساباتها هذه الإرهافات الفكرية الإنسانية للتدليل لهم بأنهم بالفعل النهاية.

علامات الساعة

في الإسلام منذ ألف وأربعمائة عام ونيف انزل الله القرآن على قلب رسوله محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي الإلهي الذي تنزل به روح القدس جبريل عليه السلام حول اقتراب الساعة... ونورد هنا قول الله سبحانه وتعالى في سورة القمر {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْتَقَى الْقَمَرُ} في دلالة صريحة وواضحة على اقترابها الوشيك.

وفي سورة محمد يقول الحق جل وعلا {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} أي جاءت علاماتها وتوفرت شروط حدوثها.

ونورد من السنة المطهرة حوار الرسول الأكرم محمد عليه الصلاة والسلام مع جبريل عليه السلام حين سأله عن الساعة (فقال جبريل عليه السلام ما المسئول عنها بأعلم من السائل فسأله النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام عن أماراتها أو علاماتها فقال جبريل عليه السلام: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان) من حديث صحيح لمسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورواه أحمد عن ابن عباس وورد في صحيح الألباني.

ومن المبحث القيم (عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام) لمؤلفه الأستاذ أمين جمال الدين ننقل أهم علامات الساعة الصغرى التي حدثت وتحققت بالفعل ولم يبق سوى ظهور العلامات الكبرى التي تؤكد الدلائل والشواهد قرب ظهورها بإذن الله.

1- أن تلد الأمة ربتها. بمعنى كثرة عقوق الوالدين في أيامنا هذه.

1- الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان.

2- إسناد الأمر إلى غير أهله - والحديث الشريف لرسول الله عليه الصلاة والسلام (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) الذي رواه البخاري في الصحيح.

3- قلة العلم وظهور الجهل.

4- كثرة القتل - وفي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام (إن بين يدي الساعة لأياماً تنزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج والهرج القتل متفق في حديث ابن مسعود وأبو موسى الأشعري).

5- شرب الخمر وتسميتها بغير اسمها - قال عليه الصلاة والسلام (يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها) احمد والنسائي بإسناد صحيح.

6- كثرة الزنا والخنا.

7- لبس الرجال الحرير.

8- استحلال الأغاني والمعازف - قال عليه الصلاة والسلام (ليكونن في أمتي أقوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف) صحيح البخاري.

9- اتخاذ القنيت أي المغنيات.

10- ظهور الفحش والتفحش أي ندايرة اللسان.

11- قطيعة الرحم.

12- تخوين الأمين واتهامه.

13- ائتمان الخائن وتقريبه - قال عليه الصلاة والسلام (من أشرط الساعة الفحش والتفحش وقطيعة الرحم وتخوين الأمين وائتمان الخائن) صحيح رواه احمد البزار عن ابن عمر وذكره الألباني.

14- ظهور موت الفجأة في الناس.

15- اتخاذ المساجد طرقاً أي يمر الرجل في المسجد مروراً لا يصلي فيه قال عليه الصلاة والسلام (... وأن تتخذ المساجد طرقاً وأن يظهر موت الفجأة) حديث حسن عند الطيالسي عن أنس رضي الله عنه وذكره الألباني.

16- اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين دعواهم واحدة وهو قتال علي ومعاوية المعروف.

17- تقارب الزمان - أي قلة البركة في الوقت .

18- كثرة الزلازل.

19- ظهور الفتن وعموم شرها.

20- داعي الأمم وتكالبها على أمة الإسلام كما تتكالب الأكلة على قصعتها.

21- التماس العلم عند الأصاغر وهم طلبة العلم غير المتمكنين الراسخين في العلم يسألون فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون - قال عليه الصلاة والسلام (إن من أشرط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر) صحيح رواه الطبراني وابن المبارك وورد في صحيح الألباني.

22- ظهور النساء الكاسيات العاريات اللائي يغطين بعض جسدن ويكشفن بعضاً أو يرتدين الملابس الشفافة والضيقة التي تبرز مفاتنهن.

23- تصدر السفهاء وتكلمهم في الأمور العامة للناس قال عليه الصلاة والسلام (بين يدي الساعة سنون خداعة يتهم فيها الأمين ويؤمن فيها المتهم وينطق فيها الروبيضة - قالوا وما الروبيضة قال السفية ينطق في أمر العامة) رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه.

24- يكون السلام للمعرفة فلا يسلم الرجل إلا على من يعرف - قال عليه الصلاة والسلام (ان من اشرط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم إلا للمعرفة) صحيح لغيره - رواه احمد عن ابن السعود رضي الله عنه.

25- عدم تحري الرزق الحلال - قال عليه الصلاة والسلام (يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام) رواه البخاري والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه.

26. يكثر الكذب ويعم.

27. تتقارب الاسواق دلالة على كثرة التجارة وفشوها - قال عليه الصلاة والسلام (... ويكثر الكذب ويتقارب الزمان وتتقارب الأسواق) رواه ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه.
28. تكوين إبل للشياطين وبيوت للشياطين - أي يركب الرجل ناقته ويصطحب أخرى لا ليركبها ولا ليواسي بها المحتاج فتركبها حينئذ الشياطين وكذلك يشتري الرجل البيت لا ليسكنه في الحال ولكن يدخره سنوات عديدة فتسكن الشياطين قال عليه الصلاة والسلام (تكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين) صحيح رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.
- 29- تباهي الناس في المساجد وتفاخرهم بها وبزخرفتها قال عليه الصلاة والسلام (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد) صحيح رواه احمد والنسائي.
- 30- خضاب الناس رؤوسهم باللون الأسود - قال عليه الصلاة والسلام (يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة) رواه ابو داود والنسائي.
- 31- تمنى رؤية النبي عليه الصلاة والسلام وذلك عند عموم الفتن وغربة الدين - قال عليه الصلاة والسلام (ليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله) رواه البخاري عن أبي هريرة وسلم وأحمد.
- 32- يقل إقبال الناس على الطاعات والعمل للأخرة.
- 33- يلقي الشح وينتشر بين الناس فيدخل كل بما في يده صاحب المال بماله والعالم بعلمه والصانع بصناعته وخيرته - قال عليه الصلاة والسلام (وينقص العمل ويلقى الشح) رواه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة.
- 34- قتل الناس بعضهم بعضا بغير ما هدف قال عليه الصلاة والسلام (والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول فميا قتل) رواه مسلم عن أبي هريرة.
- 35- أن يصبح المال العام نهبه للجميع لا يتورعون عن نهبه والنيل منه.
- 36- تقل الأمانة.
- 37- تثقل على النفوس شرائع الدين.
- 38- يطيع الرجل زوجته ويعق أمه.
- 39- يجافي الرجل أباه ويقرب صديقه.
- 40- ارتفاع الاصوات في المساجد.
- 41- يكون زعيم القوم أردلهم ويسود القبيلة فاسقهم.
- 42- يكرم الرجل مخافة شره لا لفضله وكرامته - قال عليه الصلاة والسلام (إذا كان المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرمأ وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم أردلهم وساد القبيلة فاسقهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر وليس الحرير واتخذت القنيات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليبر تقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع) رواه الترمذي عن علي وأبي هريرة وقال حديث غريب.
- 43- تكثر الشرطة وذلك لزيادة الفساد.
- 44- تقديم الرجل لإمامة الناس في الصلاة لجمال صوته وإن كان أقل القوم فقهاً وفضلاً.
- 45- بيع الحكم أي تنال المناصب بالرشوة.
- 46- الاستخفاف بالدم - قال عليه الصلاة والسلام (يا دروا بالأعمال إمارة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافاً بالدم وقطيعة الرحم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم وإن كان أقلهم فقهاً) حديث صحيح رواه الطبراني عن عابس الغفاري ورواه احمد وذكره الألباني.
- 47- أن تشارك المرأة زوجها العمل والتجارة - قال عليه الصلاة والسلام (بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة) صحيح لغيره رواه احمد والطيالسي عن ابن مسعود.
- 48- فشو القلم وكثرة التصانيف والتأليف.
- 49- أن يكون الولد غيباً.
- 50- ويكون المطر قنيطاً.
- 51- ويتعلم لغير الدين أي ابتغاء منصب أو وظيفة أو مال يتكسبه.
- 52- ظهور السيارة وهذا من عجيب أخبار النبي عليه الصلاة والسلام قال عليه الصلاة والسلام (سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروح كأشباه الرجال ينزلون بها على بوابي المساجد نساؤهم كاسيات عاريات) رواه ابن حبان والحاكم في المستدرک.
- 53- ظهور الترف وحياء الدعة في الأمة الإسلامية - قال عليه الصلاة والسلام (إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمها أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط شرارها على خيارها) رواه الترمذي.
- 54- ترتفع التوت وتوضع الوعول أي يكرم الفسقة ويهان الكرام.- وقال عليه الصلاة والسلام (يقال للرجل ما أجلده وما أظرفه وما أعقله وما في قلبه حبة خردل من إيمان) حديث متفق على صحته البخاري ومسلم وأحمد والترمذي.
- 55- تمنى الموت لكثرة الفتن - قال عليه الصلاة والسلام (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه) رواه البخاري.

56- حاصر العراق ويمنع عنها الطعام والمساعدات. ثم تحاصر الشام (سوريا - لبنان - الأردن - وفلسطين) كذلك، فيمنع عنها الطعام والمساعدات، وهاتان العلاقتان السابقتان من أعجب ما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام - أنه سيكون في آخر الزمان، فقد وقع هذا قريباً جداً - حوصرت العراق ثم حوصرت فلسطين - قال عليه الصلاة والسلام (يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذلك؟ قال من قبل العجم يمنعون ذلك، ثم قال يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدي، قلنا من أين ذلك؟ قال من قبل الروم) رواه مسلم في كتاب الفتن عن جابر ورواه أحمد في مسنده والقفيز مكيال العراق

57. موت رسول الله عليه الصلاة والسلام .- فتح بيت المقدس وتم هذا في عهد عمر بن الخطاب .- الموت الجماعي بالأوبئة والطاعون وغيرها، وحدثت.

58. ظهور الغلاء وارتفاع الأسعار حتى يعطى الرجل مائة دينار بل ثلاثمائة فيظل ساخطاً.

59. فتنة تدخل كل بيت من بيوت العرب والمسلمين كالتفافز والأغاني.

60. هدنة ومصالحة تكون بيننا وبين الروم (أوروبا وأمريكا) وهذه آخر علامة صغرى لأنه يكون على أعقابها وعلى إثرها الملاحم الأخيرة. وقد تمت المهادنة وبدأت أطراف هذه العلامة الأخيرة تتراعى فنحن الآن في صلح مع الروم، يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام (اعددت سناً بين يدي الساعة، موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كفعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا وصلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غايه تحت كل غايه اثنا عشر ألفاً) رواه البخاري في صحيحة عن عوف بن مالك - والطبراني عن معاذ.

العلامات الكبرى

1. المسيح الدجال

إن أول العلامات الكبرى وأشدها خطراً على البشرية بالإطلاق هو ظهور المسيح الدجال وهو المخلوق الذي يعده إبليس أو الشيطان لعنهم الله لزعة إيمان البشر وخاصة المسلمين منهم بالله سبحانه وتعالى إلا أن رحمة الله تعالى بالمؤمنين الصادقين كانت وستكون بالمرصاد لهذا الدجال الذي تؤكد الشواهد والأحداث عبر سيناريوهات متوالية اقتراب خروجه.

وقبل أن نبدأ سرد قصة هذا اللعين علينا أن نعود أولاً إلى الينبوع الطاهر الذي كان وسيظل معينا لا ينضب للبشر وللمسلمين خاصة، ينهلون منه معرفة ودواء وطمأنينة لمواجهة طوفان الحقد والفتن والسير على درب تضيئه منارات الهدى والرحمة للوصول إلى الهدف العظيم الذي تهفو إليه أفئدة امتلأت بنور الله وتعلقت بيوم اللقاء والفوز والنجاة.

وهنا نورد قول الحق تبارك وتعالى. بسم الله الرحمن الرحيم {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِيَّيْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} إبراهيم: 22

وقال عليه الصلاة والسلام (إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة) رواه ابن ماجه.

وعن أنس قال، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام (ما من نبي إلا وقد أئذرت أمته الأعرور الكذاب ألا إنه أعرور وإن ربكم ليس بأعرور) رواه مسلم.

وأورد هنا حديث الجساسة أو قصة الجساسة الذي رواه مسلم في صحيحة عن فاطمة بنت قيس قالت - سمعت منادي رسول الله عليه الصلاة والسلام ينادي الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول

الله، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله عليه الصلاة والسلام جلس على المنبر وهو يضحك.

فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أندرون لماذا جمعتمكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم.

قال: إني والله ما جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتمكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا ويلك ما أنت.

فقلت: أنا الجساسة، قالوا وما الجساسة، قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال فلما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانه.

قال فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه

أعظم إنسان خلقاً وأشده وثاقاً مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

قلنا ويلك ما أنت؟ قال قد قدرتم على خبري فأخبروني، ما أنتم..

قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفانا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت؟..

فقلت الجساسة قلنا وما الجساسة؟.. قالت اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانه، فقال أخبروني عن نخل بيان؟.

قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا نعم، قال أما إنه يوشك أن لا يثمر.
قال أخبروني عن بحيرة طبرية؟ قلنا عن أي شأنها تستخبر، قال: هل فيها ماء؟.. قالوا كثيرة الماء، قال أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال
أخبروني عن عين زغر؟ قالوا عن أي شأنها تستخبر، قال هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟.
قلنا له نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها.
قال أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتلته العرب؟
قلنا نعم، قال: كيف صنع بهم فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال لهم قد كان ذلك؟
قلنا نعم، قال إما ذاك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض
فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني
مكاً بيده السيف صلتاً يصدني عنها وإن على نقب منها ملائكة يحرسونها.
قالت قال رسول الله عليه الصلاة والسلام وطعن بمخصرته في المنبر: هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة - يعني المدينة - ألا هل كنت حدثتكم
ذلك، فقال الناس نعم فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل
من قبل؟ المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق. وأوماً بيده إلى المشرق.
قالت فحفظت هذا من رسول الله عليه الصلاة والسلام « رواه مسلم في كتاب الفتن عن فاطمة بنت قيس وأحمد عن أبي هريرة وعائشة وابن
ماجه عن فاطمة وأبو داود بسند حسن عن جابر.

الدجال في الإنجيل

يقول الإصحاح 19/11-21 من الانجيل، رؤيا يوحنا اللاهوتي عن الدجال في رؤياه عن الأيام الأخيرة: «ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا
فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينا صادقا وبالعدل يحكم ويحارب..
والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل أبيض لابسين بزاً أبيض ونقيا ومن فمه يخرج سيف لكي يضرب به الأمم..
ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين ليصنعوا حرباً مع الجالس على الفرس ومع جنده..
فقبض على الوحش والنبي الكذاب معه (الدجال) الصانع قدامه الآيات التي بها أضل الذين قبلوا اسمه الوحش والذين سجدوا لصورته وطرح
الاثنتان حيين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه وجميع الطيور شبعت من لحومهم
(سفر الرؤيا). وفي التوراة والإنجيل تسمى فترة ظهور الدجال بالضيقة العظيمة ورجسة الخراب وفي انجيل متى 24/21 يقول المسيح
عيسى عليه السلام لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون).
وحول ذلك أيضا في انجيل متى 24/15 يصف المسيح عليه السلام بقوله (فمتى نظرت رجسة رجبسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في
المكان المقدس). وفي سفر الرؤيا 14/9-11 أيضا يقول إن كان أحد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده فهو أيضا
سيسرب من خمر غضب الله المصوب حزماً في كأس غضبه ويعذب بنار وكبريت ولا يكون راحة نهاراً وليلاً للذين يسجدون للوحش
وصورته ولكل من يقبل سمة اسمه يبقى الدجال أهم وأخطر العلامات الكبرى لبداية النهاية ويقول الأستاذان محمد عيسى داوود وهشام كمال
عبد الحميد في كتابيهما الأول الخيوط الخفية بين المسيح الدجال وأسرار مثلث برمودا والأطباق الطائرة والثاني اقترب خروج المسيح
الدجال إن هذا الدجال اللعين هو لقحة شيطانية لأب وأم كافرين ومن عبدة الشيطان وباعتباره أمراً مقدوراً من خلق الله الواحد الأحد فإنه
يعيش بمعية الشيطان إبليس لعنه الله في مكنه بمنطقة برمودا هذه المنطقة التي عجزت البشرية بكل ما وصلت إليه من تكنولوجيا وتقدم
علمي أن تسبر أغوار الظواهر والحوادث التي حدثت وتحدث في تلك المنطقة، كما أن هناك منطقة أخرى في الشرق وتحديدًا في بحر
الصين بين اليابان وجزيرة فورموزا ربما اعتبرت أيضا إحدى قواعد الهامة، لكن منطقة مثلث برمودا الممتدة قاعدته بين فلوريدا
ويورتوريكو ثم يتجه شمالاً لتكون قمته مجموعة جزر برمودا.
ويقول الأستاذ داوود من خلال بحث شيق ومنطقي يقبله العقل جمع فيه من ثقافات الشعوب المختلفة وأساطيرها وكافة الأديان والعقائد ثم
حقائق الظواهر التي حدثت وتحدث وآراء العلماء وربط بينها بإحكام يجعل العقل الموسوعي أو المطلعين واسع المعرفة يقبلون بمنطقة
الجيد في العرض والطرح- أن الدجال يستعد بمعونة الشيطان إبليس لعنه الله للخروج في موعده المقدور الذي اقترب، بعد أن أعد عدته
لفتنة الناس وغوايتهم، تحدياً لله، ويبدو أن إبليس اللعين يسعى مدحوراً بإذن الله لتحقيق أو لمحاولة فاشلة كما جاء في قسمه (فيعزتك
لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) وستكون هذه المحاولة الأخيرة له في هذا المضمار لأن الأحداث الموثوقة التي أنبأنا بها نبينا
الأكرم رسول الإسلام وخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام تقول بنهايته وخلاص العالم من شره على يد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام
الذي سينزل من السماء بإذن الله متكئاً على جناحي ملكين ليقتضي عليه وليقود المسلمين إلى النصر المؤزر الذي وعدهم به الحق سبحانه
وتعالى، وليدحر الشر والكفر في العالم عبر سلسلة من الآيات المتتالية التي تسبق نهاية العالم وقيام الساعة الذي لا يعلمها إلا الله تبارك
وتعالى.

إن هذا الدجال اللعين سيأتي بأمر خطيرة استطاع بمساعدة اللعين إبليس من الوصول إليها عبر أسرار بعض علوم الفيزياء وتحويل المادة
إلى طاقة والطاقة إلى مادة والتفوق العلمي الذي قدرها الأستاذ داوود بأنه يسبق العالم المتقدم وما وصل إليه إنسان هذا العالم بأكثر من مائة
عام تقريباً.

وما الأطباق الطائرة التي رصدتها أعين الآلاف من بني البشر وأجهزتهم والأحداث بتفاصيلها التي أحاطت بها إلا إحدى نتاجاته العلمية التي ستساعد في التنقل بسرعة بين أرجاء العالم، إضافة إلى الخوارق بمقاييس العقل البشري التي يعدها لإغواء البشر بعبادته والعياذ بالله والإيمان به من دون الله.

وفي هذا السياق نقدم بعض ملامح هذه المنطقة التي يظن علماء الغرب أن الأطباق الطائرة تأتي من الفضاء. ففي كتاب تشارلز بيرلنز «مثلث برمودا» (وهو كتاب يحظى باحترام كبير يقول بيرلنز) تجاه الشاطئ الجنوبي الغربي للولايات المتحدة توجد بقعة من غرب الأطلنطي تشكل ما اصطلح على تسميته مثلث يمتد من برمودا شمالا وحتى فلوريدا جنوبا ثم يتجه شرقا خلال جزر البهاما بعيدا عن بورتوريكو وغربا حوالي 40° طولاً ثم يعود ثانية إلى برمودا. هذه المنطقة تحتل مكانا مشوشا غير طبيعي ولا يمكن تصديقه في قاموس الأسرار الكونية الغامضة.

عرفت هذه المنطقة باسم مثلث برمودا حيث تلاشت وبشكل كلي أكثر من 100 سفينة وطائرة معظمها منذ عام 1945 وحيث أزهقت أكثر من 100 ألف روح بشرية خلال ربع قرن من الزمان خلى دون أن تترك أي أثر حتى ولو لشخص واحد، بل إنه لم يعثر على الاطلاق على أي بقية من حطام طائرة أو ركام باخرة.

واستمرت الاختفاءات بشكل متزايد رغم ازدياد السفر على الطرق البحرية والخطوط الجوية. ورغم ازدياد الأبحاث الدقيقة وتنظيم سجلات لذلك اختفت طائرات أخرى كثيرة بينما كانت في حالة اتصال عادي بالراديو مع قاعدتها أو مع المكان الذي تقصد إليه حتى لحظة اختفائها.

والأغرب من ذلك أن بعض الطائرات كانت ترسل رسائل تقول فيها إنها لا تستطيع السيطرة على عمل الآلات وأن البوصلات كانت تدور بشكل لولبي وأن السماء تحولت إلى قطع كثيفة من الضباب الأسود والجو يميل إلى الاصفرار مع أن الجو كان في ذلك اليوم صحوا وصافيا وأن المحيط - الذي كان هادئا في الأماكن الغربية - أصبح لا يبدو طبيعيا ولم يقدموا أي إيضاح أو تعليل لما كان يجري. كان هذا كلام تشارلز بيرلنز في مقدمة كتابه (مثلث برمودا). لكن دعونا نسردها بعض الأحداث التي أوردتها في كتابه حول عمليات الاختفاء الغربية للطائرات والسفن في هذه المنطقة يقول بيرلنز: (في 5 كانون الأول عام 1945 قامت مجموعة تتألف من خمس طائرات تابعة للبحرية الأمريكية بطلعة من قاعدة فورت لادرويل ولم تعد إلى قاعدتها وعند ذلك صدرت الأوامر للسفينة الحربية مارتن ماريز للتوجه لإنقاذهم إلا أنها بدورها قد اختفت نهائيا.

وفي الحال تمت واحدة من أصعب عمليات البحث إلا أنه لم يعثر على أي أثر لإنسان أو حطام أو ركام أو حتى بقعة زيت. وقد تم اختفاء طائرات أخرى بينما كانت تتلقى تعليمات الهبوط وقد ذكرت الهيئة العامة للتحقيق أن الطائرة اختفت وكان فجوة في كبد السماء قد احتوتها كما اختفت قوارب كبيرة وصغيرة دون أن تترك أي أثر لحطام أو بشر ومن هذه البواخر سفينة الشحن مارين سيلفر كوبن البالغ طولها 425 قدما والباخرة سايبكولوت التي تحمل تسعة عشر ألف طن وثلاثمائة وتسعة أشخاص على متنها اختفت وبكل بساطة بينما وجدت بعض القوارب الصغيرة تتمايل في مياه المثلث وأحيانا كان يوجد بها حيوانات على قيد الحياة مثل كلب أو طائر الكناري والتي لم يكن بإمكانها التبليغ عما حدث وعلى الرغم من أنه في إحدى الحالات اختفى ببغاء كان يتكلم مع كامل الطقم. واستمر الاختفاء في برمودا دون أي تفسير حتى وقتنا الحاضر ولم يسجل أنه قد تم العثور على أية سفينة مفقودة وقد كان حرس السواحل يسجل انتهى البحث دون أي تعليق لا سلبا ولا إيجابا، ولم يكن أحد من الناس أو الباحثين يشعر أن هناك ارتباطا بين الماضي والحاضر في ظاهرة مثلث برمودا.

كان هناك شعور عام بأنه لا بد من وجود شيء خاطئ في هذه المنطقة في التقارير الواردة من الطائرات والسفن المفقودة داخل المثلث. وقد ذكرت بعض القوارب التي نجت من هذا المثلث واجتمعت على وجود نظام خاص بالبحر رغم أن السبب غير مفسر لاختفاء الطائرات والسفن في هذه المنطقة وهو غامض غموض الخلود كان هذا بعض كلام بيرلنز في كتابه.

وفي قسم آخر من الكتاب تحت عنوان مثلث الطائرات المخفية نستعرض إحدى أغرب الحالات إثارة وهي القصة التفصيلية بأحداثها وحواراتها بين الطائرات الخمس التي فقدت والسادسة التي ذهبت للإنقاذ ولم تعد وهي كالتالي: كانت الطائرات الخمس الأولى في دورية اعتيادية مع مخطط طيران مرسوم بدقة ويجب على الطائرات اتباعه.

كان مخطط الطيران بشكل مثلث تبدأ من محطة طيران البحرية هي فورت لادرديل بفلوريدا ثم تقطع 160 ميلا إلى الشرق، 40 ميلا إلى الشمال ثم طريق العودة إلى القاعدة متبعين دورة جنوبية غربية أعطت برمودا اسمها لما كان يسمى سابقا بمثلث السيطرة أو مثلث الموت أو بحر النحس أو مقبرة الأطلنطي وأسماء أخرى عديدة، هذا ولم تسجل أي حادثة قبل أو بعد كالذي تمت في هذا الاختفاء الجماعي الكامل للرحلة التدريبية مع طائرة الإنقاذ دون أي شرح أو تفسير وفي خلال عمليات إنقاذ متعددة كانت الرحلة رقم 19 مصممة على الطيران وقد سعت إلى حتفها المشؤم..

تركت الطائرات قاعدة فورت لادرديل بعد ظهر يوم الخامس من كانون 1945 والتحق مع الطيارين خمسة ضباط ملاحين وتسعة أفراد طواقم أدخلوا اثنين على كل طائرة باستثناء الأخيرة التي اعتذر الضابط عن القيام بها وطلب إقصائه عن هذه الرحلة بناء على إذن مسبق ولم يستبدل بأخر .

كانت طائرات البحرية مجهزة بقنابل وكل منها كانت مملوءة بالوقود بحيث يكفي لطيرانها آلاف الأميال، كانت الحرارة 65 درجة فهرنهايت والشمس كانت ساطعة حيث تبخرت الغيوم وتلاشت، أما الرياح فكانت شمالية شرقية معتدلة بالنسبة للطيارين الذين قاموا بطلعات في ذلك

النهار أفادوا أن الأحوال الجوية مثالية للطيران وقد تم حساب وقت هذه الطلعة قبل ساعتين بشكل دقيق. كان الإقلاع الساعة الثانية بعد الظهر وفي تمام الساعة الثانية وعشر دقائق كانوا جميعاً يحلقون في الجو وكان قائد السرب الضابط تشارلز تايلور وفي جعبته 2500 ألفين وخمسمائة ساعة طيران (خبرة ممتازة).

كان كل الطيارين الطواقم في أفضل حالات التدريب ولم يكن هناك أي سبب يدعو لحصول شيء غير طبيعي خلال الطلعة 19 إلا أن شيئاً ما حصل بعنف في حوالي الساعة الثالثة والرابع بعد الظهر بعد أن انتهت التدريبات على الانقضاض والقصف وتابعت الطائرات طريقها شرقاً، كان القائم بالاتصال في برج محطة فورت لادريدل يتوقع أن يتم اتصال مع الطائرات حسب الوقت المقرر لتعليمات الوصول والهبوط إلا أنه سمع رسالة غير عادية مصدرها قائد المجموعة وتشير التسجيلات الصوتية على أن ما حدث هو الآتي: قائد الطلعة الضابط تايلور ينادي البرج: هذه حالة طارئة يبدو أننا لم نعد على ما يرام، لا نستطيع أن نرى الأرض، أكرر لا نستطيع أن نرى الأرض. البرج: ما هو الموقف عندكم؟ قائد الطلعة: لسنا متأكدين من الموقف عندنا، لا نستطيع أن ندرك أين نحن؟ يبدو أننا قد اضللنا الطريق. البرج: أقترح أن تسلك طريقاً مستقيماً إلى الغرب. قائد الطلعة: لسنا نعرف اتجاه الغرب كل شيء يبدو معطلاً.. غريب.. لا يمكننا التأكد من أي اتجاه.. حتى المحيط لا نستطيع أن نراه كما يجب.. وفي حوالي الساعة 3.30. التقط قائد الرحلة المساعد في قاعدة لادريدل رسالة من أحدهم: هنا قوات.

طلب أحد الطيارين تفسيراً لهذا النداء نسمع قوات.. فيقول: لست أدري أين نحن لآبد أن نكون قد وضعنا بعد الدورة الأخيرة. كان قائد الرحلة بالأرض (الموجه) المساعد قادراً على الاتصال بقائد الرحلة 19 الذي أخبره بدوره: إن البوصلات تعطلت، أحاول أن أجد فورت لادريدل، أنا متأكد أنني في كتس لكنني لا أستطيع تحديد انخفاضها.

أخبره الموجه بأن يطير باتجاه الشمال بحيث تكون الشمس جهة الشاطئ إلى أن يصل قاعدة فورت لادريدل البحرية وكان الرد في الحال: طرنا قبل قليل فوق جزيرة صغيرة لا نشاهد أية جزيرة أخرى.. الأمر الذي أشار إلى أن القائد لم يكن فوق كتس وأن الطائرات جميعها منذ أن لم يعد بإمكانها رؤية الأرض والتي كان يجب أن تكون على اتصال دائم ومستمر بمنطقة كتس قد أضاعت اتجاهها.

أصبح من العسير جداً سماع رسائل من الرحلة 19 بسبب التشويش كما أصبح جلياً أن الرحلة 19 لم تكن قادرة على سماع رسائل البرج إلا سماع أحاديث الطائرات فيما بينها. بعضها كان يشير إلى احتمال نفاذ الوقود: لا يكفي الوقود لأكثر من خمسة وسبعين ميلاً. كانت المراقبة تدعو إلى الجنون جميع البوصلات المغناطيسية في جميع الطائرات لم تكن تعمل (مصابة بالجنون) كما جاء في التقارير، كانت كل بوصلة تعطي قراءة مخالفة للأخرى وخلال هذا الوقت كله لم يكن باستطاعة الموجه الأرضي أن يجري أي اتصال مع أي من الطائرات الخمس رغم أن الاتصال فيما بين الطائرات كان مسموعاً.

في تلك الأثناء كان جميع الموظفين في القاعدة في حالة هياج حيث أعلنت حالة الطوارئ، لقد تم وضع جميع الاحتمالات من قيام العدو بالهجوم..

رغم أن الحرب العالمية الثانية قد انتهت منذ عدة أشهر أو ربما هناك عدو جديد هم تخيلوه..

تمت عملية انتشار طائرات الإنقاذ وبشكل رئيسي الطائرة (مارتن ماريز) الطائرة ذات المحركين المزدوجين..

إنها سفينة طائرة يبلغ عدد طاقمها ثلاثة عشر فرداً ومن قاعدة بنما الجوية وفي تمام الساعة الرابعة بعد الظهر سمع البرج فجأة أن الضابط تايلور قد أعطى القيادة لمساعد الكابتن ستيفر ورغم التشويش والاضطراب فقد تم التقاط الكلمات التالية: لسنا متأكدين أين نحن..

نعتقد أن مكاننا يبعد مائتين وخمسة وعشرين ميلاً شرقاً عن القاعدة بالاتجاه الشمالي الغربي - لا بد أننا اجتازنا فلوريدا ولا بد أن نكون فوق خليج المكسيك. ويبدو أن قائد الطلعة قد قرر الدوران 180 درجة على أمل أن يطير عائداً إلى فلوريدا، وما أن بدأوا عملية الالتفاف حتى أخذ الاتصال يضعف مما يدل على أنهم سلكوا اتجاهاً خاطئاً وأنهم كانوا يطيرون باتجاه الغرب بعيداً عن شاطئ فلوريدا باتجاه المحيط.

بعض التقارير أشارت إلى أن آخر ما التقط من الطلعة 19 هو: يبدو كأننا..؟ كل ما نراه هو ماء أبيض.. لقد وضعنا تماماً.

في هذه الأثناء تلقى برج المراقبة من الضابط كوم قائد الطائرة مارتن ماريز وبعد إقلاعها بقليل رسالة تبلغ عن وجود رياح قوية على ارتفاع 6000 ستة آلاف قدم وفي الموقع الذي يفترض أن تقوم طائرة الإنقاذ برحلتها فيه.

وبعد ذلك بقليل تلقت جميع وحدات الإنقاذ رسالة تقول إن ست طائرات بدلاً من خمس هي الآن مفقودة.. طائرة الإنقاذ وعلى متنها ثلاثة عشر هم في عداد المفقودين أيضاً لم يعد هناك الآن أي خبر عن الطائرات الخمس ولا عن طائرة الإنقاذ التي هبت لإنقاذهم. وبعد الساعة

السابعة بقليل تلقت قاعدة أوبالو الجوية في ميامي نداءً ضعيفاً - ت - ت - وتلك كانت الحروف الأولى من الرحلة التاسعة عشر ولكن إذا كانت هذه الرسالة من الدورية المفقودة بهذا يعني أن الطائرات لاتزال موجودة حتى بعد ساعتين من نفاذ الوقود منها.

ابتدأت عملية البحث الأساسية يوم الاختفاء إلا أنها أجلت بسبب حلول الظلام رغم أن مراكب خفر السواحل استمرت في البحث عن احتمال أنهم بقوا أحياء. وفي اليوم التالي يوم الخميس ابتدأت عملية بحث دقيقة مع أول ضوء.. لكن أكبر عملية بحث في التاريخ لم تعثر على أي أثر للمفقودين..

وقد اشترك في هذه العملية 240 طائرة إضافة إلى 76 طائرة متخصصة في البحث عن الحطام وعدة غواصات وثمانية عشر زورقاً لخفر السواحل وفوق ذلك كله مئات من الطائرات الخاصة والزوارق واليخوت وقاذفة جاءت خصيصاً من قاعدة بنما الجوية.. وكانت النتيجة لا شيء ولا أثر.

كان معدل طلعات الطيران 176 طلعة يومياً وعلى ارتفاع 300 قدم فوق الماء، من الفجر وحتى الغروب. أجريت عملية بحث دقيقة لمساحة ثلاثمائة وثمانين ألف ميل مربع بما في ذلك الأطلنطي والبحر الكاريبي وأجزاء من خليج المكسيك إضافة إلى فلوريدا والجزر القريبة واستغرقت عمليات البحث ما مجموعه أربعة آلاف ومائة ساعة لم يعثر خلالها على أي أثر لحي أو لحطام أو حتى لبقعة زيت طافية. كانت شواطئ فلوريدا وشواطئ جزر البهاما تمشط كل يوم وتفتش تفتيشاً دقيقاً على مدى عدة أسابيع عله يتم العثور على أي أثر من الطائرات المفقودة إلا أن النتيجة كانت لا شيء .. جميع الاحتمالات الممكنة تم وضعها.. ولكن أحد التقارير ذكر أن طائرة تجارية قد شاهدت لهباً أحمر في اليوم الذي يفترض فيه أن يكون يوم اختفاء الطائرات.

إلا أن هذا التقرير لم يؤكد وتم انكاره. بعد ذلك ادعت سفينة تجارية أنها رأت انفجاراً يحدث في الجو الساعة 7.30 السابعة والنصف بعد الظهر ولكن السؤال هو ما إذا كان الانفجار قد حدث للطائرات الخمس فهذا يعني أن الطائرات بقيت محلقة بعد نفاذ الوقود منها لمدة أربع ساعات.

ولتفسير اختفاء الطائرات كلياً دون أن تترك أي أثر يقودنا للقول إن الطائرات قد انفجرت جميعها في وقت واحد وبعد انقطاع الاتصالات بها. ومن الملاحظ أن إشارة طلب النجدة (إس. أو. إس) لم تصدر عن الرحلة 19 أو عن فرقة الإنقاذ على الطائرة مارتن ماريز. كما أن سطح البحر كان يسمح بالهبوط الاضطراري فالمياه هادئة وفي معظم الحالات يمكن للطائرة أن تبقى طافية لمدة تسعين ثانية حيث أن الطاقم مدرب لتجهيز زورق نجاة مؤقت لا يستغرق 60 ثانية أما قمصان النجاة فقد كانت محضرة قبل الإقلاع وهي تعمل بمجرد سقوط الطائرة في الماء.

وفي وقت متقدم من عملية الإنقاذ لاحظ بعض الباحثين وجود انتفاضات في البحر إلا أنها كانت بعيدة جداً عن المكان الذي يحتمل أن تكون الطائرات قد نزلت فيه وإذا كان لابد من الافتراض أن الطائرات قد هبطت فقد تم ذلك في المنخفضات وبين هذه الانتفاضات وأن الإشارة إلى الماء الأبيض في آخر رسالة من الرحلة 19 مثير للاهتمام ولا بد أنه على علاقة بالضباب الأبيض الكثيف المحير الذي هو ظاهرة فجائية لتلك المنطقة وهذا بدوره يمكن أن يلقي الضوء على سبب انخفاض الرؤية والتقرير الذي يصف الشمس بأنها (لا تبدو على ما يرام) ولكن هذا الأمر لا يترك أي أثر على البوصلات المغناطيسية والجيروسكوبية إضافة إلى ذلك هناك نقطة لا يتم فيها الاتصال بالراديو تقع ما بين فلوريدا وجزر البهاما إلا أن مشكلة الطائرات بدأت قبل انقطاع الاتصال بالراديو.

وبعد القيام بالفحص الدقيق لجميع الأدلة والمؤشرات المتوفرة انتهى مجلس البحرية للاستعلامات إلى القول: (لقد تم فحص جميع الأجهزة والمعدات قبل إقلاع الطائرات إلا أن ما حصل شيء مبهم تماماً لا نجد له أي تفسير ويصعب على المرء أن يصدق ذلك). ولقد علق أحد المحققين بشكل فجائي ومؤثر (إنهم اختفوا كما لو أنهم طاروا إلى الزهرة).

فكيف يمكن لهذا العدد من الطائرات والطيارين والسفن أن تختفي دون أن تترك أي أثر؟ الضابط (د. هو ويشينج) ضابط مدرب في قاعدة لاديرويل الجوية حين وقعت الحادثة وهو من الذين اهتموا بقضايا الاختفاء لعدة سنوات يظن أن كلمة اختفاء هي عامل مهم في مصير طاقم الرحلة 19 حيث لا يوجد أي دليل يشير إلى أنهم هلكوا بالتأكيد.

وفي تصريح للدكتور مانسون فالانتين (العالم الذي راقب المنطقة في ميامي لعدة سنوات صرح في صحيفة نيوز) إنهم لا يزالون هنا وأنهم تعرضوا لعوالم أخرى من الفضاء (ولا يمكن إبطال هذا الأمر إلا من قبل فضائيي العوالم الأخرى، وفي تصريح لأحد ضباط خفر السواحل (لسنا ندري فيما إذا كان الجحيم يخرج من هنا. وكان في النهاية إجماع الضباط المحققين - إنها خسائر فادحة في زمن السلم لم يسبق لها مثيل، يبدو أنها سر غامض تماماً إنها أغرب ما جرى البحث فيه في سجلات تاريخ الطيران والبحرية.

وعلى ما يبدو أن الكارثة الحالية قد أثرت على اثنين من طاقم الرحلة 19 على الأقل أحدهما كان موجه الرحلة نفسه ففي حوالي الساعة الواحدة والربع بعد الظهر وصل متأخراً إلى القاعدة، وقبل الرحلة بقليل اعتذر عن القيام بالرحلة وطلب إعفائه من هذا الواجب ولكن لم يكن اعتذاره مرفقاً بأي مبرر أو تفسير، لقد طلب وبكل بساطة أن يعفى من هذه المهمة وبما أنه لم يكن هناك أي بديل فإن طلبه قد رفض. أما الحالة الثانية فإن الضابط ورشينج قد رأى بنفسه أن العريف (الآن كوستار) قد ورد اسمه في جدول الرحلة 19 إلا أنه لم يقم بها. ولقد صرح العريف قائلاً: لا أستطيع إعطاء أي تفسير إلا أنه لسبب غامض أجهله أنا نفسي قررت ألا أذهب في رحلة هذا اليوم . وحسب قول الضابط ورشينج فإن العريف لم يبق له في الخدمة سوى أربعة أشهر وأنه قد طلب عدة مرات نقله من عمله من مهمة الطيران وفي يوم الرحلة أثير الموضوع ثانية ولكن الضابط ورشينج أخبره أن عليه الحصول على تقرير من طبيب الرحلة.

انطلقت الرحلة وطاقمها ينقص واحداً وعندما أوشكت المشاكل على الحدوث هرع الضابط ورشينج إلى مهاجع المناوبين لطلب متطوعين وكان العريف أول من وقعت عليه عينه فيبادره قائلاً: أتذكر أنك أخبرتني أن على الحصول على تقرير من الطبيب. لقد ذهبت وقد استبدلني من الرحلة.. إن رحلتي هي التي ضاعت ومما يجدر ذكره أن تقريراً عن خطة الرحلة قال: (إن الرحلة قد ذهبت مع تمنيات كبيرة استمرت حتى للحظة الأخيرة قبيل الإقلاع).

أما في القاعدة فقد استدعى ذلك تجميعاً وتفقداً دقيقاً لمعرفة ما إذا كان آخرون قد ضاعوا إلا أن العدد كان تاماً وكاملاً ولا يوجد أي غياب وهنا يضيف غموضاً جديداً إلى تقرير التمنيات الكبيرة والذي أصبح عنصراً ليس له حل في سلسلة الاختفاء .

عنصر غموض آخر عن الرحلة 19 استمر مختفياً طيلة 29 عاماً بعد الحادث وذلك عندما تتبع آرت فورد المحاضر والكاتب الكبير هذه القضية منذ عام 1945 لقد أفضى سرا رهيباً على شاشة التلفزيون القومي عام 1974 مشيراً إلى أن الضابط تايلور قائد الرحلة 19 كان قد أرسل رسالة تقول (لا تتبعوني يبدو وكأنهم من الفضاء الخارجي).

أكد فوردي أن هذه المعلومات الجديدة في وقت الحادثة التقطت من قبل هاوي اتصالات إلا أنه لم يعره اهتماماً، معتبراً إياها أخطاء جهاز اتصال لشخص هاو يستقبل رسائل من طائرة محلقة وإنها إحدى الشائعات التي سادت خلال تلك الفترة - إلا أن فوردي بعد ذلك وفي الاستقصاءات التي أجراها حصل على رسائل البرج بما في ذلك تقرير أحد أهالي الطواقم واطلع عليه وهو سر رسمي مكتوب باليد.. وقد ذكر فوردي أنه قد سمح له بالإطلاع عليه بشكل مستقل - السر هو كلمة (لا تتبعوني).

مما يدعم ما حصل عليه من الهاوي المدني ويزيد أهميته وقد كان ما حصل بعد ذلك من اختفاءات بمثابة دعم لافتراضه.

كانت الحادثة السابقة نموذجاً من حوادث الاختفاء الغامض التي حدثت في تلك المنطقة وبشكل لم تجد معه كافة التحقيقات التي حاولت فك هذه الألغاز مما يعني أن هناك قوى غير عادية كانت غير مفهومة حتى توصل الباحثون المسلمون وعلى رأسهم الاستاذ محمد عيسى داوود وهشام كمال عبد الحميد وربما غيرهم - من خلال البحث والرصد والتقصي وإعمال الفكر السليم للوصول إلى أن هذه المنطقة مركز رئيسي للشيطان وقبيلة ومعهم الدجال لعنهم الله بكفرهم وضلالهم، يجرون الأبحاث ويعدون عدة الكفر لإغواء البشر ودفعهم بعيداً عن طريق التوحيد والإيمان لكنهم لا محالة مدحورون بإذن الله.

ومما يجدر ذكره أن هذا الدجال يعتبره اليهود ملكهم المنتظر ويعدون العدة لاستقباله حال خروجه وكبار حاخاماتهم يعرفون ذلك حتى إن بعضهم يعلمون أن إسرائيل ستصل مرحلة معينة من التفوق والقدرة، ساعتها ستبدأ النهاية بعلماتها الكبرى وأولها خروج الدجال بعد الحرب الكبرى في هرمجدون وهي منطقة تقع في فلسطين .

هرمجدون

يتفق علماء المسلمين وأهل الكتاب على موقعة حربية هائلة سوف تقع في منطقة في فلسطين واستمدت اسمها من هذه المنطقة التي تدعى هرمجدون أو جبل مجيدو وهذه المعركة ستقوم بين الغرب يحالفهم المسلمون يقاتلون فيها عدواً مشتركاً، وبعض الآراء تقول إنهم الشيوعيون أو الروس أو غيرهم من الأمم ضمن الصراعات الدولية القائمة الآن والتي تنذر باقتراب هذه الحرب الشعواء التي لن تبقى و لن تذر، والاحتمال المؤكد أنها سوف تستخدم فيها الأسلحة النووية على اعتبار أن روسيا وحلفاءها السابقين في وسط آسيا يملكون السلاح النووي والصواريخ العابرة للقارات، وهنا أعيدي إلى الذاكرة ما ورد بالجزء الأول في هذا الكتاب حول نظرية نهاية التاريخ وخاتم البشر واطروحات هيجل ونييتشه لفرانسييس فوكوياما إلا أنني أورد هنا أيضاً نبوءة العراف والعالم الفلكي الشهير الفرنسي الأصل حول نهاية العالم وتحديده هذه الفترة الزمنية التي تدور حول نهاية العقد الأخير من القرن العشرين وما بعده بقليل والمعروف أن فؤشراوا موسى تنبأ منذ ما يقارب الأربعمئة سنة أو ما يزيد بأحداث وقعت كالحربين العالميتين الأولى والثانية وبشكل شبه دقيق.

ولو نظرنا الآن نظرة عامة للأحداث السياسية حولنا في العالم لوجدنا إرهابات قوية ونذر جلية واضحة تعتبر كمقدمات لا شك فيها لحرب هائلة ضروس مرشحة للحدوث بسبب هذه الأحداث فالآن تحقق أمريكا الأطروحة التي قدمها فوكوياما من حيث انتقال نزعة التيموس أو الرغبة في نيل الاعتراف والتقدير من أفراد المجتمع الديمقراطي الليبرالي الغربي إلى الدول بانتهاجها السياسة المعروفة (عالم سياسة القوة والهيمنة) من خلال قيادتها لحلف الناتو وهجومها المستمر على يوغوسلافيا السابقة (صربيا) التي تعتبر حليفاً طبيعياً عرقياً ومذهبياً للروس والبييلوروس. كما نرى التملل الروسي والتفاعلات داخل روسيا حول ذلك الأمر - ولو افترضنا أن هذه العملية (ضرب يوغوسلافيا) قد مرت بسلام وحققت أمريكا والغرب أهدافهما فإن المرشح الطبيعي للخطوة القادمة ستكون روسيا أو الصين ولنا أن نتخيل الأمر حينئذ.

وهناك بالفعل خلافات جوهرية وتقاطع مصالح سياسية بين كل من الصين وروسيا من جهة والغرب بقيادة الولايات المتحدة من جهة أخرى. ونعود في ذلك إلى المنهل الشريف وهو أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام في هذا الأمر حيث يقول عليه الصلاة والسلام (ستصالحون الروم صلحاً آمناً فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائهم فتسلمون وتغنمون ثم تنزلون بمرج ذي ثلؤل فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول غلب الصليب فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله فيغدو الروم وتكون الملاحم فيجتمعون لكم في ثمانين غاية مع كل غاية اثنا عشر ألفاً) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن ذي مخمر رضي الله عنه وصححه الألباني.

لكن دعونا أيضاً نورد ما جاء من أهل الكتاب حول ذلك الأمر في كتاب عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي المنتظر لأمين جمال الدين (يقول سفر الرؤيا 16/16 - وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها في مكان يسمى هرمجدون) الإنجيل 388 دار الثقافة.

وجاء في كتاب البعد الديني في السياسة الأمريكية أن (سبعة من رؤساء أمريكا يؤمنون بمعركة هرمجدون) الوعد الحق والوعد المفترى ص 31 وقال رونالد ريجان رئيس أمريكا الأسبق (إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيرى هرمجدون) التنبؤ والسياسة ص 66. وفي كتاب دراما نهاية الزمن لأورال روبر تسون وكتاب نهاية أعظم كرة أرضية لهال ليفرس اللذين يقترحان أن عام 2000م هو النهاية (كل شيء سوف ينتهي في بضع سنوات.. سنقوم المعركة العالمية الكبرى معركة هرمجدون أو سهل مجيدو).

ويقول جيمي سواجرت (كنت أتمنى أن أستطيع القول إننا سنحصل على السلام ولكني أومن بأن هرمجدون مقبلة، إن هرمجدون قادمة وسيخاض غمارها في وادي مجيدو، إنها قادمة إنهم يستطيعون أن يوقعوا على اتفاقيات السلام التي يريدون، إن ذلك لن يحقق شيئاً هناك أيام سواد قادمة).

ويقول جيري فولويل زعيم الأصوليين المسيحيين: (إن هرمجدون هي حقيقة، إنها حقيقة مركبة ولكن نشكر الله أنها ستكون نهاية أيام العامة) التنبؤ والسياسة ص 53 .

ويقول سكوفيلد (إن المسيحيين المخلصين يجب أن يرحبوا بهذه الحادثة لأنه بمجرد أن تبدأ المعركة النهائية -هرمجدون- فإن المسيح سوف يرفعهم إلى السحاب وأنهم سوف ينفذوا وإنهم لن يواجهوا شيئاً من المعاناة التي تجري تحتهم) التنبؤ والسياسة ص 25 .

وتقول جريس هالسل الكاتبة الأمريكية: (إننا نؤمن كمسيحيين أن تاريخ الإنسانية سوف ينتهي بمعركة تدعى هرمجدون وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح الذي سيحكم بعدوته على جميع الأحياء والأموات على حد سواء) التنبؤ والسياسة ص 19.
إن هرمجدون أمر مقدور وبإذن الله سوف تحدث، وبعدها ستدور الدائرة على اليهود والدجال - {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بَنَصْرِ اللَّهِ { (الروم: 4 - 5)

2- نزول المسيح عيسى بن مريم

إن كل هذه العلامات الكبرى مرتبطة ببعضها البعض بشكل أصيل وحسب الأحداث التي ستجري بمشيئة الله ومنها العلامة الثانية وهي نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لأن نزوله أمر مقدور أيضاً من لدن الله سبحانه وتعالى ليقتل الدجال ويخلص العالم من شره حيث ينزل عليه السلام في اليوم الأخير المقدر من الله تعالى لوجود الدجال في الأرض وهي فترة أربعين ليلة يقود المسلمين خلالها وقبل نزول المهدي المنتظر عليه السلام والذي سيأخذ البيعة في الحرم المكي ويقود الأمة إلى نصرها المؤزر بإذن الله قبل نزول المسيح ودعونا نورد هنا الأحاديث التي جاءت في شأن ظهوره عليه السلام.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام في منامه فقلنا يا رسول الله صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله، فقال عليه الصلاة والسلام: العجيب أن ناساً من أمتي يؤمنون البيت لرجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم. فقلنا يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس، قال: نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم. رواه البخاري في كتاب البيوع ومسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام (يعود عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم) رواه مسلم وقال عليه الصلاة والسلام (ليوم هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم) رواه مسلم.

وحول المعركة الكبرى ونزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ليقضي على الدجال وجيوش الكفر نورد حديثين شريفيين للرسول الأكرم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا فقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم الثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلث أفضل الشهداء عند الله ويفتح ثلث لا يفتنون أبداً فيفتحون قسطنطينية وبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاؤوا الشام خرج فيبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذا قيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فأمهم فإذا راه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فلو تركه لانداب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وفي الحديث الثاني يقول عليه الصلاة والسلام وتكون عند ذاك القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة أي طائفة من المقاتلين للموت لا ترجع إلا غالبية فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفئ هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفئ هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة فإذا كان اليوم الرابع نهض إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدائرة على الروم فيقتلون مقتلة إما قال لا يرى مثلها وإما قال لم ير مثلها حتى إن الطائر ليمر بجنايتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً وبنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد. فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقسم رواه مسلم.

3- يأجوج ومأجوج

قال تعالى في محكم التنزيل في سورة الكهف: {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95)} (الكهف 93:95)
صدق الله العظيم

ويقول المعصوم عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم، فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول أخرج بعث النار - قال وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ قال أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألف رواه البخاري في كتاب الأنبياء.
وحول يأجوج ومأجوج اختلفت آراء العلماء فالأستاذ أمين جمال الدين صاحب كتاب عمر أمة الإسلام يقول إنهم لم يخرجوا للأن وبروى عن ابن عباس قوله عن يأجوج ومأجوج (هو في منقطع بلاد الترك مما يلي أرمينيا وأذربيجان) أي على الحدود التركية الروسية قريبا من جبال القوقاز.

إلا أن للأستاذ هشام كمال عبد الحميد مؤلف كتاب اقتراب خروج المسيح الدجال - رأي آخر حيث يقول إنهم التتار والمغول الذين غزوا الأمة الإسلامية أواخر الخلافة العباسية واجتاحوها وأشبعوها قتلا ووحشية وطبعا هذا أمر حدث منذ ما يقارب الألف عام. وعن شرورهم يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام في حديثه الشريف وقد استيقظ فرعا (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج

ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها) فقالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثرت الخبث، رواه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش.

4- طلوع الشمس من مغربها

وهذا هو اليوم الذي يغلق فيه باب التوبة ومن علامات هذا اليوم أن الشمس ستحجب عن الظهور ثلاثة أيام ثم تطلع في اليوم الرابع من الغرب.

وفي هذا نورد الحديث الشريف لرسول الله عليه الصلاة والسلام ليأتين على الناس ليلة تعد ثلاث ليال من لياليكم هذه فإذا كان ذلك يعرفها المنتفلون يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام فيبينما هم كذلك صاح الناس بعضهم في بعض فقالوا ما هذا فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت» رواه الحافظ أبو بكر في تفسيره بسنده عن عبد الله بن أبي أوفى.

5- خروج الدابة

وفي وقتها ستخرج الدابة عظيمة الخلق وستخاطب الناس وتسميهم في وجوههم المؤمن بخاتم الإيمان والكافر بكفره.

6- الدخان

وظهور الدخان هو نذير للكافرين ببدء عذابهم وحلول نقمة الله بهم وبعده تأتي الريح اللينة من اليمن لتقبض أرواح المؤمنين الصالحين ولا تترك سوى أهل الكفر لينالوا جزاء كفرهم وليصب الله عليهم العذاب صبا.

كان الوقت قد مر على طويلا وأنا جالس أمام النافذة الكبيرة في الطابق الثالث بفندق دي لابييه Poix Dela Hotel وهي كلمة بالفرنسية تعني السلام وبصري يتجه على امتداد الأفق فوق مياه المحيط الأطلسي قبل الغروب بقليل.

كان المنظر رائعا لكن القلب والعقل كانا في واد آخر. لقد تضاعلت بهجة الطبيعة حتى زال داخل نفسي ويقين الإيمان يجتاحني لأغرق في متعة أخرى تزول أمامها كل المتع الزائلة الفانية..

لقد علمت أن هذه الحياة ما هي إلا ممر نجتازه ونتركه رغم أنوفنا وبقوة القاهرة عظيمة لم تضن علينا بنعمها..

إنها قوة الخالق الأعظم والواحد الأحد الذي منحنا الحياة ابتلاءً وأمرنا بعبادته والإخلاص لوحده، فمننا من فهم وعمل لأخوته ومنا من أخذته الدنيا بزينتها وبهرجها فضاع وخسر - {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونُ} (الذاريات 56)، هذه هي القاعدة الذهبية التي حملت فلسفة الحياة وجوهرها.

واختم بقول الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ} (2) { (الملك: 1، 2) صدق الله العظيم.

وأقول داعيا المولى سبحانه وتعالى: {يا الله يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث}

الخاتمة

بعد كل هذه الرؤى التي تبلورت حول الأفق التي استشرطنا ما خلف حافاتها بمنطق سليم يقبله العقل الواعي الذي يدرك الحقيقة بوعيه وبصيرته وبعد طرح الحقائق الناصعة حول حتمية النهاية وسيناريوهاتنا وحقائقها التفصيلية وليس من خلال أوهام وأساطير واهية ليست من الحقيقة في شيء لم يبق لي معكم سوى أن أودعكم على أمل عظيم في رحمة الله نطلبها ضارعين إليه أن يشملنا غيثا ونجاة من أهوال الباطل وهاوية الفتن والضلال.

وبعد رحلة استغرقتني مدة اثنتي عشر عاما من الكتابة في محاولة للبحث ومن ثم لطرح الحقائق إيماننا مني بدوري ككاتب هاو يعلم ويعرف قيمة الكلمة الصادقة الأمينه ومسئوليتها أمام الله وأمام البشر.

أجد نفسي رغم حالة الوداع بيني وبينكم أهفو إلى القلم بعد أن شرعته سيفاً يخدم وطني ومجتمعي وديني.. لكم مني كل الحب والتمنيات الصادقة الصادرة من القلب تحمل أريج الإيمان وعبقه العظيم بأن نعمل جميعا من أجل يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - يوم يجعل الولدان شيبا - {ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} صدق الله العظيم.

المراجع

1. اقتررب خروج المسيح الدجال - هشام كمال عبد الحميد.
2. عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي المنتظر - أمين جمال الدين
3. نهاية التاريخ وخاتم البشر - فرانسيس فوكوياما
4. مثلث برمودا - تشارلز بيرلز - ترجمة خليل فضل عبود، حمدي زمزم - دار الايم ان.
5. المسيح الدجال وعلاقته بمثلث برمودا والأطباق الطائفة - محمد عيسى داوود.